

أضواء البيان

. @ 203 @

وقوله : { اللّٰهُمَّ نَزِّلْ أَحْسَنَ الْكِتَابِ } . .
ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا } وقوله : { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبِئَآؤُكُمَا بَيْتًا وَيَلْبَسَ قَبِيلٌ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَالِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي } . .

قال مقيده عفا □ عنه : .

الظاهر أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كله من تأويل الرؤيا ، وعلوم كتب □ وسنن الأنبياء والعلم عند □ تعالى . قوله تعالى : { إِذْ قَالَ لُؤْلُؤُ لَيْوُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَبَيْنَا مِنْذًا وَزَحْنُ عَصِيَّةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } .
الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي . .
ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب . فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم : { قَالَ لُؤْلُؤُ تَاللّٰهُ إِنْ زَكَّ لَفِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } وقوله تعالى في نبينا صلى □ عليه وسلم : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } أي لست عالماً بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي ، فهذاك إليها وعلمكم بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم . ومنه بهذا المعنى قول الشاعر : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى { أي لست عالماً بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي ، فهذاك إليها وعلمكم بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم . ومنه بهذا المعنى قول الشاعر : % (وتظن سلمى أنني أبغي بها % بدلا أراها في الضلال تهيم) % .

يعني : أنها غير عالمة بالحقيقة في طنها أنه يبغي بها بدلاً وهو لا يبغي بها بدلاً . .
وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين ، إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً ، وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة ، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به ، حيث أثر اثنين على عشرة ، مع أن العشرة أكثر نفعاً له ، وأقدر على القيام بشؤونه وتدبير أموره . .

واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين : .

أحدهما الضلال في الدين ، أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل صلوات □ عليهم

وسلامه . وهذا أشهر معانيه في القرآن . ومنه بهذا المعنى { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } وقوله : { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } ، وقوله : { وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا } إلى غير ذلك من الآيات . .

الثاني إطلاق الضلال بمعنى الهلاك والغيبة . من قول العرب : ضل السمن في